

واقع الجغرافيا السياسية الجديدة
الدولة الفاشلة و الحروب اللامتماثلة

بلغراس بومدين طالب دكتوراه/جامعة وهران2
تحت اشراف أ.د . مختار بربياح /المركز الجامعي البيض

تاريخ النشر: 01 ديسمبر 2018.	تاريخ القبول: 10 جوان 2018	تاريخ الارسال: 10 أفريل 2018
<p>ملخص:</p> <p>إن تطور العلم وخاصة تكنولوجيا السلاح طور الحروب التقليدية التي يعرفها البعض أنها الحرب بين دولتين أو بين جيشين نظاميين إلى حرب العصابات و حروب عالمية و الحروب الوقائية أو الإستباقية ثم إلى نمط جديد من الحروب ألا وهي الحروب اللامتماثلة Les Guerres Asymétriques، و التي تنشأ في جغرافيا تسمح لها باستمراريتها وفعاليتها و هو ما يؤسس إلى الدول الفاشلة (État défailant) L'États en déliquescence و التي تجد الجيوش الموازية و المنظمات الإرهابية من خلالها تربة خصبة لفرض كيانها و إيديولوجيتها ساعية الى تحطيم الدولة الوطنية . و بهذه التطورات على الصعيد الأمني و العسكري، على المستوى المحلي و العالمي تأخذ الجغرافيا السياسية منحى جديد من العلاقات الدولية و قد تستشرف إلى رسم حدود جديدة</p>		
<p>الكلمات المفتاحية: الجغرافيا السياسية ; الحروب اللامتماثلة ; الدولة الفاشلة ; الإرهاب ; حرب العصابات ; تكنولوجيا السلاح ; الحرب .</p>		
<p>Résumé Le progrès de la science et particulièrement celui de la technologie des armes ont permis le développement des guerres traditionnelles que certains définissent de guerre entre deux états ou guerres entre armées institutionnelles. Ce développement a lieu vers Les guerres des gangs ou guerres mondiales ou guerres préventives ou d'anticipation. Ensuite, vers un nouveau type de guerre qui sont les guerres asymétriques et qui naissent dans des géographies permettant leur efficacité et continuité ce qui fondent l'état défailant ou l'Etat en déliquescence, grâce auxquelles les armées parallèles et les organisations terroristes trouvent une terre fertile pour imposer leurs existence et idéologie afin de détruire l'Etat-Nation. Ces évolutions sur le plan sécuritaire, armée, local et universel (global), la géographie politique prend une nouvelle tangente et même de dessiner et prospecter de nouvelles Frontières.</p>		
<p>Mot clefs : La Géographie Politique ; les Guerres Asymétriques ; L'États en Déliquescence (État défailant) ; Terrorisme ; les Guerres des Gangs ; Technologie des Armes ; Guerre .</p>		

مقدمة:

لا يزال العالم يعيش حالة الحروب والصراعات رغم كل التطور في مجال العلوم و التكنولوجيا ورغم الكم الهائل من الدروس و التنظيرات لعالم يجمع الكل ويحترم الحقوق و الحريات و يحفظ للإنسان الأمن و الكرامة في كنف الحرية و الديمقراطية وهو ما دعا إليه المفكرون و خاصة الفلاسفة عبر مر العصور ، إلا أن ثقافة التسلط وحب التملك للإنسان جعل العالم و المجتمعات تعيش في حالة حرب و صراع دائم. كما أن تطور العلم و خاصة تكنولوجيا السلاح طور الحروب التقليدية التي يعرفها البعض أنها الحرب بين دولتين أو بين جيشين نظاميين إلى حرب العصابات و حروب عالمية و إلى غزو الفضاء و الحروب الوقائية أو الإستباقية و حروب الجوسسة ثم إلى نمط جديد من الحروب ألا و هي الحروب اللامتماثلة أو الحروب اللامتوازية.و التي تنشأ في جغرافيا تسمح لها باستمراريتها وفعاليتها وهو ما يؤسس إلى الدول الفاشلة أو الدول المنهارة و التي تجد الجيوش الموازية و المنظمات الإرهابية من خلالها تربة خصبة لفرض كيانها و إيديولوجيتها . و بهذه التطورات على الصعيد الأمني و العسكري تأخذ الجغرافيا السياسية منحى جديد من العلاقات الدولية و قد تستشرف إلى رسم حدود جديدة .

فما هي الدول الفاشلة ؟ و خطرهما على الأمن العالمي ؟ و ما مدى خطورة الحروب اللامتماثلة؟ وما هي خصائصها ؟ أساليبها و أهدافها ؟

إن قوة و تقدم الدول الكبرى لم يعد يشكل خطرا على الأمن العالمي ذلك أن السباق نحو التسليح و تكنولوجيا السلاح النووي و ما أسفر عنه من حرب باردة ساهمت في لا استقرار العالم و خلق بؤر توتر فيه، قد أنتج إدراكا متبادلا بين الشرق و الغرب لا يزال مستمرا بضرورة استبعاد المواجهة المباشرة من قائمة البدائل المتاحة لكل منهما للتعامل مع الآخر.

لكن أمام التطور العلمي و التكنولوجي و تحت وطأة البحث عن أسواق جديدة لتجارة الأسلحة و الهيمنة و توظيف الإعلام و اقترانه بوسائل التواصل الاجتماعي الموجه لدول مازالت تبحث عن مناهج للتنمية و في ظل انقسامات طائفية و قبلية و عشائرية و جهوية و مافيات متنوعة و جيوش موازية و إرهاب معولم و صناعة المحارب و صراعات حول السلطة و أزمات سياسية و اقتصادية أدت الى ضعف الدولة و اختراقها بالحروب اللامتماثلة و بالتالي فشلها .

إن مفهوم " الدولة الفاشلة " (État défailant) (États en déliquescence) يعد من المفاهيم المستعصية على ضبطه لكن تعريفه بالرجوع لما أشار إليه "التقرير السنوي الأول " الذي أعده كل من " صندوق دعم السلام " و مجلة " السياسة الخارجية " عام 2005 حيث اعتبر أن الدولة الفاشلة هي ما ينتج عن فقدان الحكومة المركزية السيطرة على أقاليمها، أو فقدان الدولة لحقها السيادي في احتكار واستخدام قوتها بشكل شرعي مما يعرضها لاضطرابات و يخلق داخلها حركات عصيان مدني، أو أن تكون عاجزة عن تقديم الخدمات المجتمعية، أما على الصعيد

الخارجي فهي تلك الدول المقيدة سيادتها تلقائيا إثر تعرضها لعقوبات اقتصادية أو سياسية، أو تواجد قوات عسكرية أجنبية على إقليمها، أو خضوعها لقيود عسكرية أخرى كحظر الطيران في مجالها الجوي.¹

من بين الخصائص الأكثر بروزا للدولة الفاشلة و التي تميزها عن باقي الدول فهي كما وصفها نعوم تشومسكي² أنها لا تحمي مواطنيها من العنف وربما من الدمار أيضا أو أن صناع القرار فيها ينظرون إلى هذه المشاغل كأولوية أدنى في سلم الأولويات من القوة و الثروة قصيرتي الأمد لقطاعات الدولة المهيمنة . وهناك سمة أخرى تتسم بها الدولة الفاشلة و هي أنها دولة " خارجة عن القانون " تنبذ قيادتها القانون الدولي و الاتفاقيات الدولية بازدراء. قد تكون هذه الوسائط ملزمة للآخرين لكنها غير ملزمة للدولة الخارجة عن القانون.³

كما يتم تحديد مؤشرات الدولة الفاشلة بمدى شرعية الحكومة و قبولها من طرف الشعب ، و كونها تعيش أزمات اقتصادية مع انتشار الفساد العام داخل مؤسسات الدولة و تخصص في اتخاذ القرارات بين المسؤولين و انعدام الأمن العام يقابله انتشار الفوضى و العصابات و التنظيمات المسلحة و عدم توفير الخدمات العمومية الأساسية كالصحة و التعليم و غيرها، مع حدوث فارق كبير بين طبقات المجتمع و طلبات اللجوء السياسي الى الدول الأجنبية والهجرات الجماعية. فتعيش الدولة الفشل المؤسساتي خاصة في المجال السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي . و كما أشار اليها ماكس فيبر أنها الدولة التي تجد صعوبة في التحكم في استعمال القوة بشكل شرعي على كامل ترابها الوطني و داخل حدوده.⁴

و مفهوم الدولة الفاشلة ليس بدقيق أو محدد مثله مثل " الدولة الإرهابية " و "الدولة المارقة" و يشوبه العديد من التاويلات ، كما توصف " الدولة الفاشلة " بالعجز عن توفير الأمن لسكانها، و ضمان الحقوق في الداخل أو الخارج ، أو الحفاظ على مؤسسات ديمقراطية فاعلة (و ليست شكلية فحسب) لديها⁵

¹ أدمام شهرزاد ، الطبيعة اللاتماثلية للتهديدات الأمنية الجديدة ، مجلة الندوة للدراسات القانونية ، قسنطينة ، الجزائر ، العدد الأول ، لعام 2013 ، ص 46 .

² نعوم تشومسكي ولد في 7 ديسمبر 1928 فيلادلفيا، هو أستاذ لسانيات وفيلسوف أمريكي، إضافة إلى أنه عالم إدراكي وعالم بالمنطق ومؤرخ وناقد وناشط سياسي. وهو أستاذ لسانيات في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا والتي عمل فيها لأكثر من 50 عام. وقد كتب تشومسكي عن الحروب والسياسة ووسائل الإعلام وهو مؤلف لأكثر من 100 كتاب وكثيراً ما يعتبر منظراً رئيسياً للجناح اليساري في السياسة الأمريكية

³ نعوم تشومسكي الدول الفاشلة إساءة استعمال القوة و التعدي على الديمقراطية ترجمة سامي الكعكي ، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان ، ب ط ، 2007 ، ص 51

⁴ ماكس فيبر 1864 - 1920 عالماً ألمانياً في الاقتصاد والسياسة، وأحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث ودراسة الإدارة العامة في مؤسسات الدولة وعمله الأكثر شهرة هو كتاب "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" وعمله الشهير أيضاً "السياسة كمهنة"

⁵ نفس المرجع ص 138

وبالتصور الأمريكي الذي ترسخ في عهد كلينتون أن الدول الفاشلة هي " الدول التي يجب أن نحمل أنفسنا منها، والتي يتوجب علينا مد يد العون إليها ... بتدميرها في بعض الأحيان"¹. ولعل أبرز عنصر وأخطره في ميزات الدولة الفاشلة هو عدم بسط سيادتها كاملة على ترابها الوطني، مما يؤدي إلى نشأة كيانات افتراضية وجيوش موازية كتنظيم القاعدة في أفغانستان، و داعش في العراق وسوريا وليبيا، والحوثيين في اليمن وحزب الله في لبنان وغيرها من التنظيمات المسلحة التي أصبحت تبرز داخل هذه الدول الفاشلة وبذلك أصبحت تمثل تهديد عالمي جديد لاستعمالها نمط جديد من الحروب وهي الحروب اللامتماثلة.

الحروب اللامتماثلة : Les guerres asymétriques

هي الحروب غير المتوازية أو الحروب غير النمطية حيث أنها حرب تحددها الاختلافات الكبيرة والمتباينة بين أطراف الصراع في القوة العسكرية، تنظيمها وتسليحها وتجهيزها، تخوضها أطراف نظامية (دولة) ضد جماعات أو تنظيمات أو ميليشيات مسلحة غير نظامية تنتهج حرب العصابات والتمرد كإستراتيجية لهجوماتها، كما تتسم بالسيطرة على قواعد وشروط المواجهات المكان والزمان.² ويسمى البعض حروب الكيانات الافتراضية والحروب اللاتناظرية ويسمى الصينيون الحرب غير المقيدة، فهي حروب استنزاف طويلة الأمد، تعتمد تكتيكات لا علاقة لها بالحروب التقليدية. فتجد الدولة نفسها تحارب اللاجيش ولا تملك هذه الكيانات الافتراضية جغرافيا محددة ولا تنظيم عسكري واضح فلا يمكن القضاء على الخصم بشكل نهائي لأنه يبقى داخل النظام الإجتماعي فهو جزء منك طوال فترة الصراع ومثال ذلك الحرب الجزائرية على الإرهاب. فأدت هذه الحروب التي ظهرت منذ نهاية الحرب الباردة إلى مرحلة جديدة وتغيير جذري في الجغرافيا السياسية العالمية، التي أنهت احتكار الدولة لوسائل الحرب كما ألغت الحدود والفوارق بين الجنود العسكريين والمواطنين المدنيين فالكل يمكن أن يجند. حيث تقوم هذه الجيوش الموازية أو الكيانات الافتراضية بتجنيد المدنيين في صفوفها أو استعمالهم في حروبها بصفاتهم مواطنين عاديين فهي حرب نفسية أكثر منها عسكرية.

خصائص الحرب اللامتماثلة:

بالاستناد إلى نص تقرير "هيئة التقديرات" في البنتاغون، ترتسم ملامح وخصائص الحرب اللامتماثلة كما يلي:

1- ليس هناك ميدان يتقابل فيه المتحاربون أمام بعضهم مواجهة أو بالالتفاف.³

¹ نفس المرجع ص 135

² بوسعيد تركية، حروب الجيل الرابع والتحول الجيوسياسية في المنطقة العربية - مذكرة ماستر في العلوم السياسية تخصص علاقات دولية - جامعة بليدة 2 تحت اشراف الاستاذ نسيم بلهول 2016 / 2017، ص 22

³ محمد حسنين هيكل، الزمن الأمريكي: من نيويورك إلى كابول، نقلا عن هنري كيسنجر، المصرية للنشر العربي والدولي، مصر، ب ط:

- 2- السلاح ليس متماثلا لا في درجات القوة ولا في العتاد .
- 3- ليست هناك صلة بين فعل ورد فعل تجري ممارسته على ساحة معينة يدور فوقها اتصال.¹
- 4- السلاح وفعل السلاح خارج حساب أي منطق أو تصور يمكن توقعه. ومع أن الحشد وسرعة الحركة والمفاجأة أساليب مطلوبة في كل أنواع الحروب إلا أنها في حالة الحرب اللامتماثلة مطلوبة أكثر، لأنها لازمة لمنطق التفكير فيما لا يمكن التفكير فيه.²
- 5- عملياته ليست مقيدة ، فيعمل بالمصادفة والتي يدرسها بعناية ، مما يجعل التنبؤ المسبق بأعماله مهمة شاقة وعسيرة.³
- 6- تستعمل في هذه الحروب و بكثرة الانتحار بالتفجير والكمائن والأعمال التخريبية .
- 7- الأشخاص المستهدفين هم من الأفراد المحميين من قبل القانون الدولي و حقوق الانسان خاصة المدنيين، عمال الصحة من أطباء و ممرضين و أعضاء المنظمات الانسانية و الحقوقية و الخيرية و الصحفيين و رجال السياسة و رجال الدين . لهذا فنجد الخصم يختبئ في الأوساط الشعبية ليتم دمج في اطار حماية المواطنين و هو ما يجعل هذا الأخير في خطر دائم .
- 8- يمتاز العدو في هذه الحرب بروح معنوية عالية لدى أفرادها وتكنولوجيا متقدمة في عملياته، واستعداده لأقصى المخاطر يجعل ما لا يجوز التفكير فيه وارداً، كما يجعله ممكناً حتى ولو كان في المقاييس الطبيعية من المستحيلات أو من ضروب الجنون.⁴
- 9- و نضيف أيضا أنها تستعمل فيها جميع الوسائل حتى اللاحربية كاختراق الأنظمة المعلوماتية وإتلافها أو خلطها .
- 10- كما يستعمل الفيروسات البيولوجية وفيروسات الحواسيب وفيروسات الإدراك .
- 11- يستعمل الحرب العسكرية و الحرب النفسية .
- 12- يسعى لنقل الحرب إلى الأوساط الشعبية بدون أي وجود أو تحديد لساحة المعركة، وهذا لعدة أسباب من بينها منع الجيوش النظامية من استعمال القصف و خلق نوع من الضبابية للجيش في تحديد العدو و ليكون اضطراب نفسي داخل الجيش النظامي و الرأي العام و هو ما يعد العامل الاستراتيجي المهم في الحرب اللامتماثلة.⁵

¹ نفس المرجع ص 117

² نفس المرجع ص 118

³ نفس المرجع ص 118

⁴ نفس المرجع ص 119

⁵ CIRPES - Centre Interdisciplinaire de Recherches sur la Paix et d'Etudes Stratégiques , Alexis Baconnet , Les mécanismes de la guerre asymétrique : Quand la guerre se diffuse au sein des espaces civils , -- Le débat stratégique N 176; 106 - Novembre 2009 – p 3

https://geopoliticaxxi.files.wordpress.com/2011/04/article_305-guerres-asymetriques-cirpes.pdf

13- في غالب الأحيان تحركها دوافع إيديولوجية أو دينية كما أنه قد تنشط لصالح أطراف أجنبية كحرب بالوكالة، حيث لا نستبعد قيام الدول العظمى بغية تنفيذ برامجها التقسيمية أو لبطس سيطرتها على الموارد الطبيعية فتستعمل هذا النمط من الحروب ضمن نظرية المؤامرة والحرب بالوكالة .

14- يسعى إلى خلق وتأسيس فضاءات لانتشار الميليشيات والفصائل المتمردة وصراع الإثنيات فتهدف إلى زعزعت إرادة الشعب والتحكم في مسار القرارات السياسية إضافة إلى إتهاك الدولة عسكريا ونفسيا وليس القضاء عليها .

إذا لتصنيف الحرب على أنها تماثلية أو لا يجب دراسة شكل الحرب وطريقة قيادتها ومنهجها .
- وفي هذا النمط الجديد من الحروب يستعمل الأسلوب " غير المباشر " وهو أسلوب يهدف الى الضرب على نقاط الضعف أو النقاط الهامشية لدى العدو من أجل إضعافه ، أو الاستمرار في مناوشته من أجل إتهাকে ¹ .

وقد حول هذا الأسلوب غير المباشر إلى نظرية من قبل سير باسيل ليدل هارت² وبصورة خاصة في كتابه الكبير " الاستراتيجية " ووضع عقيدته " المقاربة غير المباشرة " ³ يخلص فيه إلى أن هذا الأسلوب من الحرب يتميز بهجوم الخصم على حين غرة و غير مستعد للمواجهة . و يصفه بالمناورة التي تهدف إلى تجاوز أو إلى مفاجأة الخصم ⁴ .

ويرى الجنرال غامبيان والكولونيل سوير أن الأسلوب غير المباشر يهدف الى وضع الخصم في حالة دونية بواسطة أعمال تمزقه أدبيا ومعنويا وماديا ⁵ .

وبوجه عام هي إستراتيجية الضعيف اتجاه القوي، الذي لا يستطيع المصادمة المباشرة مع القوة الرئيسية للعدو. والعائق الوحيد أمام هذا النمط من الحروب هو أنها لا تستطيع أن تحدث نتائج محسوسة إلا بعد نهاية فترة طويلة بفعل تراكم النتائج الجزئية . فمنطقها يقترب عند ذلك من منطق إستراتيجية الإتهاك (الاستنزاف) ⁶ .

وبما أن هذا النمط من الحروب انطلق في أواخر القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين فهو يواكب التطور الذي يعيشه العالم من خلال العولمة ويوظفها لصالحه، فسعيه إلى زعزعة

¹ موسوعة الاستراتيجية ، بإشراف تيري دي مونريال و جان كلين ، بمساعدة سايبين جانس ، ترجمة علي محمود مقلد ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، 2011 ، ص 232 .

² سير باسيل هنري ليدل هارت : 1895 – 1970 أحد أكابر الاستراتيجيين الانجليز في القرن العشرين ، درس في كامبردج وأصبح ضابطا في المشاة، وكلف سنة 1918 بتعديل تكتيكات المشاة البريطانية. أهم مؤلف هو قرارات الحروب في التاريخ أعيدت صياغته تحت عنوان "استراتيجية " .

³ نفس المرجع ص 959

⁴ نفس المرجع ص 232 .

⁵ نفس المرجع ص 233

⁶ نفس المرجع ص 233

النظام القائم من خلال الولوج للأنظمة المعلوماتية يؤدي إلى عواقب وخيمة و إلى حالة من الغليان في الوسط الشعبي خاصة إذا مست الأنظمة المصرفية، مما يؤدي إلى تدهور اقتصادي يقارن بخسائر الحرب النووية .

- تغيرت معايير تحديد المنتصر في هذه الحرب حيث أن الانتصار العسكري لم يعد هو الهدف، بل المنتصر من يحقق أعلى نسبة من الهزيمة النفسية للطرف الآخر، كما أن هزيمة الإرادة الشعبية، وإفقاد الشعوب الثقة في حكوماتها، بالإضافة إلى ردود وسائل الإعلام في نقل مجريات الحرب وبروز المنظمات غير الحكومية هو الفاعل الرئيسي في التأثير على الأحداث¹.

و إن هذه الكيانات الافتراضية المسلحة أو الجماعات الإرهابية لا تسعى إلى استعمار جغرافيا محددة كما في الحروب التقليدية بل إلى زعزعة استقرار الدولة و إتهاك قوتها و الضغط على الحكومات بضرب المرافق الاقتصادية و خطوط المواصلات و المؤسسات الحيوية لإضعاف قوتها، فهي تسير بها ببطء لكن بخطى ثابتة إلى مصاف "دولة فاشلة" أي إلى فرض واقع جديد من الجغرافيا السياسية و بالتالي الدفع بها إلى التقسيم كحل لفض النزاع.

و بذلك تنتشر العديد من التهديدات العالمية كالجريمة المنظمة و العصيان المدني و النزاعات الداخلية و انتهاكات حقوق الإنسان و الإبادة الجماعية، فتصبح خطر على الأمن و السلم العالميين خاصة مع انتشار الهجرات الجماعية غير الشرعية و الأمراض المستعصية و الحروب الانفصالية و بالتالي تصبح بوابة انتشار الأسلحة و الإرهاب الدولي . فبعد 2001 و تصريحات بن لادن أن له معدات و مواد نووية أصبح ينظر للإرهاب أنه تجاوز حدود الدول و أصبح يشكل خطرا عالميا حقيقيا .

و مع انتشار أسلحة الدمار الشامل و الإرهاب العالمي و الكيانات الافتراضية و التطور الهائل في الصواريخ النووية جعل الدول العظمى كأمريكا و روسيا و غيرها من الدولة المالكة لهذه الأسلحة دائما على أهبة الاستعداد من أي عدوان و من أي تهديد و يدها على الزناد لإطلاق هذه الصواريخ، و لذلك فإنه لخطر كبير من احتمال وجود إنذار كاذب بهجوم أجنبي قد يؤدي إلى عواقب وخيمة ممكن جدا أن تصل إلى حرب دولية نووية و أخطار كبيرة يصعب إلمامها إن حصلت، و نتائجها و أضرارها على البشرية و على الأرض و المجتمع الدولي عويصة بالنظر لكون سببها إنذار كاذب . و أكيد أنه لو حقا حصل هجوم نووي و الذي قد تتحكم فيه الجماعات الإرهابية خاصة مع ما أصبح يشهده عالم الرقميات من تطور و الثورة المعلوماتية و أجهزت التحكم عن بعد و

¹ مجلة السياسة الدولية ، زينب حسني عزالدين ، استراتيجيات عسكرية - أثارحروب الجيل الرابع على الأمن القومي العربي دراسة حالة: تنظيم "الدولة الإسلامية" 10 . 08 . 2017 .

الفيروسات داخل البرامج و الحواسيب قد تنقل التحكم في هذه الصواريخ من هذه الدول إلى الجماعات الإرهابية فأى خطأ في النظام الأمني سيرهن العالم بين أيدي الجماعات الإرهابية . و من المؤكد أن المخططين في واشنطن على دراية أكيدة من أن ثوار الشيشان ، الذين سبق لهم و أن سرقوا مواد مشعة من معامل النفايات و محطات الطاقة النووية ، يراقبون عن كثب شبكة السكة الحديدية والقطارات الخاصة المعدة لشحن الأسلحة النووية عبر روسيا.¹ و يحذر بروس بلير² أن الحركة الدائمة داخل روسيا في نقل الأسلحة النووية يتساوى في خطره مع إبقاء القوات النووية الإستراتيجية على درجة عالية من التأهب . و يقدر بلير أن ثمة " مئات الرؤوس النووية الروسية تنتقل بين الأرياف " و سرقة قنبلة نووية واحدة " قد تعني في نهاية الأمر دمار مدينة أمريكية. لكن هذا ليس هو السيناريو الأسوأ المترتب على هذه اللعبة النووية " فالأدهى من ذلك أن " الاستيلاء على صاروخ نووي إستراتيجي بعيد المدى جاهز للإطلاق أو مجموعة صواريخ قادرة على حمل القنابل إلى أهداف تبعد آلاف الأميال يمكن أن يترجم حدثا قياميا بالنسبة للأمة جمعاء ".³

و هناك تهديد آخر بأن يقدم إرهابيون مأجورون على اختراق شبكت اتصالات عسكرية و نقل لأوامر بإطلاق صواريخ مزودة بمئات الرؤوس النووية هذه ليست من الفانتازيا في شيء كما تبين للبينتاغون لسنوات قليلة خلت عندما اكتشفت عيوب خطيرة في إجراءات الأمان الخاصة بها ، مما استلزم إصدار تعليمات جديدة إلى أطقم إطلاق صواريخ " ترايدنت " من الغواصات . و الأنظمة في البلدان الأخرى أقل موثوقية بكثير، و هذا كله يشكل " حادث بانتظار أن يقع " على ما كتب بلير " حادثا" يمكن أن يتخذ أبعاد قيامية .⁴

و ما كان ينظر له أصبحنا نعيشه ففي 24 مارس 2018 تم إطلاق العديد من الصواريخ الباليستية من اليمن من طرف الحوثيين على السعودية حيث تم تحطيمهم بمضادات الصواريخ وقد أرسل صاروخ إلى العاصمة الرياض و التي تبعد عن مكان إطلاق الصاروخ بأزيد عن 1000 كلم حيث تم تدميره هو كذلك . مع العلم أن هذه الصواريخ قد يصل مداها إلى أزيد عن 6000 كلم و فيما تبحث وسائل الإعلام من أين حصل الحوثيين على هذه الصواريخ يكون التهديد العالمي قائم .

¹ نعوم تشومسكي الدول الفاشلة إساءة استعمال القوة و التعدي على الديمقراطية ترجمة سامي الكعكي ، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان ، ب ط ، 2007 ، ص 24

² بروس بلير هو رئيس مركز المعلومات الدفاعية الأمريكية و ضابط سابق مولج بإطلاق صواريخ " مانيتومان " و مؤلف للعديد من الكتب في المجال العسكري والاستراتيجي .

³ Washington poste, 19 september 2004 . Blair , defense minitor january – february 2004 . chalmers jhanson , the sorrow of empire (metropolitaine 2004) p 288

⁴ نعوم تشومسكي الدول الفاشلة إساءة استعمال القوة و التعدي على الديمقراطية ترجمة سامي الكعكي ، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان ، ب ط ، 2007 ، ص 24

وإن ما شهدته العديد من دول الوطن العربي بما سمي بالربيع العربي فإن بعض الدول منه تعيش جميع الفصول على غرار ليبيا و سوريا و اليمن و تسعى و تتخبط من أجل النجاة من بين الأنقاض، فهي تحارب اللادولة و اللاجيش و يصعب عليها التمييز بين المواطن و الإرهابي، بين السلمي و المسلح، فتختلط الأمور و قد يدفع العديد من الأبرياء الثمن غالبا حيث أن لعنة الحرب غير التقليدية تأتي على الأخضر و اليابس على القريب و البعيد هي حرب نفسية أكثر منها عسكرية . فلماذا جغرافيا الوطن العربي تعيش الحروب بامتياز؟ فهي في كل مرة إما تخوض حربا أو تكون على أبوابها ، لعل المكان و الإستراتيجيا و ثقل الجغرافيا أو وفرة الموارد الطبيعية¹ جعل منها بوابة التجارب السياسية العالمية .

لكن إذا كان البارز من هذه الأحداث و المروج له إعلاميا يوحى إلى صراع عالمي حول احتلال مواقع اقتصادية و سياسية و حربا باردة بين الحلفاء أنفسهم، إلا أن الإنسان قد أحرز تقدم لا يستهان به على صعيد البحث الذي لا ينتهي عن العدالة و الحرية . و إن على من أسسوا هذه العولمة بهذا الشكل الوحشي، عليهم أن يعولوا العلم و التكنولوجيا و العيش في رفاهية للمجتمعات التي نُخِرَت و مازالت تَنخُرُ في جسدها الحروب اللامتماثلة ، الغرض منها تحطيم الدولة الوطنية . و إن هناك العديد من الطرق لإعلاء شأن الديمقراطية في الداخل و حملها إلى آفاق جديدة و الفرص المتاحة لذلك متوفرة بإعطاء الفرصة و الدعم للدولة الوطنية .

¹ زهير اليعكوبي ، الحرب مقارنة فلسفة سياسية ، منشورات الضفاف ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، 2016 ، ص 13